٢٤

بلاغة الأصوات في سورة الحجر

(دراسة وصفية تحليلية)

م.م. خونچه صباح أحمد

Khuncha Sabah Ahmed

د. شيروان عمر رسول

dr. sherwan omer rasul

كلية التربية – شقلاوة / جامعة صلاح الدين

College of Education - Shaqlawa /

University of Salahaddin

الخلاصة:

جاءت الدراسة موسومة بـ **(بلاغة الأصوات في سورة الحجر)** من منظور لغوي دلالي، وتتمثل أهميتها وأهدافها في كونها وقوف دال على معان ودلالات صوتية في سورة الحجر، تبرهن على ما تميزت به سورة (الحِجر) من نسق خاص وأسلوب متميز من خلال ما تحمله الأصوات من قيم بلاغية أسهمت في عمق التركيب القرآني، من خلال حالة اتساق الأصوات وانسجامها مع المعاني التي يطرحها النص القرآني.

واقتضت خطة هذا البحث في تمهيد ومبحثين، تضمن التمهيد مفهوم بلاغة الأصوات وأهميتها في القرآن الكريم، وجاء المبحث الأول في تحليل الأصوات الواردة في سورة الحجر وكيفية استخدامها لنقل المعاني، والمبحث الثاني وقف على ظواهر الإيقاع الصوتي في سورة الحجر، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، ولقد أسفرت الدراسة في نهاية المطاف على مجموعة من النتائج، أهمها:

الأصوات المجهورة تعبر عن القوة والوضوح، مما يتناسب مع الدلالات القوية في السياق القرآني، والأصوات المهموسة تناسب السياقات النفسية، كما في قصة سيدنا لوط، حيث تعبر عن الجانب النفسي له، باختصار، تبرز الأصوات المختلفة في القرآن الكريم لتعزيز المعاني والدلالات بما يتناسب مع السياقات المختلفة للنص القرآني.

وتأتي أهمية البحث من حيث كونها دراسة تحليلية وصفية تركز على بلاغة الأصوات في سورة الحجر، حيث تعالج الظواهر اللغوية وتوضح معانيها ودلالاتها على المستوى الصوتي، أمّا فهو تحليل الأصوات في السورة وبيان ما تحمله من معانٍ، مما يبرز النسق الخاص والأسلوب الفريد لسورة الحجر. كما تسعى لتوضيح السمات الصوتية للكلمات ومدى ملاءمتها للسياق القرآني.

الكلمات المفتاحية:

البلاغة، الأصوات، الفواصل، المقاطع، الإيقاع الصوتي.

Abstract:

The study titled "Blight Al-Aswat fi Surah Al-Hijr" from a semantic linguistic perspective aims to highlight the meanings and sound significances in Surah Al-Hijr. It demonstrates the unique pattern and distinguished style of this Surah through the eloquent values of sounds, contributing to the depth of the Quranic structure by aligning the sounds harmoniously with the meanings conveyed by the Quranic text.

The research plan consists of an introduction and two main chapters. The introduction covers the concept and importance of the eloquence of sounds in the Quran. The first chapter analyzes the sounds in Surah Al-

Hijr and their role in conveying meanings, while the second chapter focuses on the rhythmic sound phenomena in the Surah. The study employs a descriptive-analytical approach.
The study concludes with several findings, including that voiced sounds express strength and clarity, fitting the strong significations in the Quranic context, while whispered sounds align with psychological contexts, as seen in the story of Prophet Lot, reflecting his psychological state. In summary, the different sounds in the Quran enhance meanings and significations, fitting the various contexts of the Quranic text.
The importance of this research lies in its analytical descriptive approach, focusing on the eloquence of sounds in Surah Al-Hijr. It addresses linguistic phenomena and elucidates their meanings and significations at the phonetic level. The analysis of sounds in the Surah reveals the unique pattern and style of Surah Al-Hijr and seeks to clarify the phonetic features of words and their appropriateness for the Quranic context
.

Keywords:
Eloquence, Sounds, Pauses, Segments, Rhythmic Sound

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم، على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى أهل بيته وأصحابه، أما بعد...

فإنَّ مصطلح بلاغة الأصوات من المصطلحات المهمة في الدرس اللغوي، لما يتضمنه من شأن كبير في الدراسات الإنسانية، كما أن للصوت اللغوي مكانة مرموقة في دراسة النص القرآني، حيث إنه عنصر أساس في الإعجاز القرآني، وعلى هذا جاء موضوع الدراسة في **(بلاغة الأصوات في سورة الحجر)**.

أسباب اختيار الموضوع: لما يمثله الصوت اللغوي من أهمية وما يتضمنه من دلالات، وعليه فهو الطريق للولوج إلى فهم النص القرآني؛ لأن الظواهر الصوتية برمتها في القرآن الكريم تحرك الدلالة وما ينتج عنها من تأثيرات عن تلك الظواهر.

أهمية الموضوع محل الدراسة: الارتكاز على معالجة الظواهر اللُّغوية، وبيان ما تؤديه من معانٍ ودلالات، ذلك على المستوى الصوتي، بحيث نصل إلى ما تتميز به سورة (الحِجر) من نسق خاص وأسلوب فريد؛ إذ لم تكتفِ بالتناول الجزئي للنص؛ بل تعاملت معه بوصفة بنيةً لغويةً صوتيةً متكاملةً ذات دلالات إيحائية وجمالية وفنية.

ومن الأهداف التي تسعى إليها الدراسة: هو إجراء تحليل الأصوات الواردة في السورة وما تحمله من معاني توضح مقصد السياق القرآني، وبيان السمات الصوتية للتشكيل الصوتي للكلمة ومدى مناسبتها للسياق القرآني.

المنهج المتبع: يأتي منهج الدراسة متمثلًا في التحليل الصوتي الوصفي لآيات سورة (الحِجر)، حيث يتم تحليل الأصوات الواردة في السورة ومعرفة دلالاتها والمغزى الذي يريده الله سبحانه وتعالى، ومعرفة تأثير ذلك الصوت في النفس الإنسانية.

الدراسات السابقة: هناك العديد من الدراسات التي تناولت بلاغة الأصوات في القرآن الكريم؛ لكن لم تتم دراسة بشكل خاص في هذا الموضوع، ومن الدراسات التي استعنت بها:

١-دراسة أسلوبية في سورة (الحِجر)، معمر ذكي، الجامعة الأردنية، يناير ٢٠١٠م.

٢-البلاغة الصوتية في بعض قصار سور القرآن الكريم، منى عبد الله على فراج، مجلة جامعة الأزهر الشريف، العدد الثالث والعشرون، لعام ٢٠١٩م.

هيكل الدراسة: تتضمن هذه الدراسة من مقدمة و**تمهيد** حيث قدمنا فيه مفهوم بلاغة الأصوات وأهميتها في القرآن الكريم، ويتم في **المبحث الأول** تحليل الأصوات الواردة في سورة الحجر وكيفية استخدامها لنقل المعاني والمغزى، وفي **المبحث الثاني** يتم عرض ظواهر الإيقاع الصوتي في سورة **(الحِجر)**، ثم النتائج وقائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية:

البلاغة، الأصوات، الفواصل، المقاطع، الإيقاع الصوتي .....**ومن الله التوفيق**

التمهيد

مفهوم بلاغة الأصوات وأهميتها في القرآن الكريم

تعريف الصوت:

الصوت لغةً: يُعرَّف لفظ "صوت" في المعاجم اللغوية بأنه "صات يصوت صوتًا، فهو صائت"، أي صائح. ويُقال "رجل صائت" لوصف من يكون حسن الصوت وشديده، و"رجل صيت" لمن له ذكر حسن. وقد أوضح ابن السكيت أن الصوت يشمل صوت الإنسان وغيره. [١]

الصوت اصطلاحًا: اختلفت التعريفات الاصطلاحية للصوت بين العلماء عبر العصور، سواء في التراث أو العصر الحديث بعض العلماء وصفوا الصوت بأنه أقرب إلى الميكانيكية، باعتباره المحرك الرئيسي لإنتاج الكلام، ومن هؤلاء العلماء الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، الذي عرّف الصوت بأنه أداة اللفظ [٢]، واعتمد عبقري العرب ابن جني (ت: ٣٩٢هـ) على هذا الوصف الميكانيكي،

وقدم تعريفًا تفصيليًا للصوت يختلف عن وصف الجاحظ فقد تناول ابن جني ماهية الصوت وكيفية خروجه، كما استعرض الأعضاء التي تشارك في إنتاجه [٣] ، وفي النظرة المعاصرة للصوت، سعى د. إبراهيم أنيس إلى تقديم تعريف وسطي يجمع بين الأصالة الطبيعية قبل التوصيف الميكانيكي الذي اعتمده العلماء في التراث [٤].

ومن التوصيف التراثي والمعاصر نستنتج أن الصوت:

أ–ظاهرة طبيعية شأنه شأن الطبيعيات الكونية.

ب–صورة ميكانيكية لتلك الطبيعة التي تستلزم اهتزازات وذبذبات وشكل آلي أحسن الخالق سبحانه وتعالى في خلقه.

ج– تحكمه آلات/محركات، وهي أعضاء الجهاز النطقي، والذي أعربت ملامحه التشريحية بصورة دقيقة مع ظهور الطب التشريحي في العصر الحديث، والذي مهد وبقوة لثورة في الدرس الصوتي.

وبناءً على ذلك، يمكن القول إن الصوت يشكل اللبنة الأساسية للكلمة، التي تتميز بطابعها الخاص عندما توضع في السياق القرآني، حيث تظهر معجزتها البيانية. تتكون الكلمات من حروف مختارة بدقة، تحمل معاني تساعد في توضيح الدلالة القرآنية المقصودة، ومن ثمَّ ظهر الإعجاز القرآني في التركيب، فأصبح الصوت جزءًا أساسًا في الإعجاز القرآني، فالقرآن الكريم ينتقي الأصوات اللُّغوية بحسب دلالتها؛ قصدًا لتجسيد المعاني بشكلها الصحيح، وتجسيم هيئاتها في أحسن صورة، وعليه تتلاءم مع المعاني المعبر عنها في سياق النص القرآني، وما تؤديه من تأثيرات ملموسة على الدلالات البلاغية؛ لتعزيز المعنى وتأكيده في النفس. [٥]

وقد حَظي مصطلح "الصوت" بأهمية كبيرة عند كل من التراثيين والمعاصرين، ففي الدراسات التراثية العربية، عُومل الصوت على أنه مكافئ للحرف، بينما بعض الباحثين المعاصرين لا يفرقون بينهما. ومع ذلك، يُعتبر الصوت المادة الأساسية لتكوين التركيب اللغوي، وإذا وجد في سياق قرآني، فإنه يسهم في إبراز الإعجاز البياني، فيتسم بطابع خاص، نظرًا للوظيفة البلاغية الذي يقوم بها في هذا السياق سواء أكان ذلك في كلماته أم في جمله، أم في آياته أم على مستوى إيقاع السورة بأكملها [٦] وسورة **(الحِجر)** من السور التي تتجلى فيها القيمة البلاغية للصوت، حيث يظهر فيها مدى ملائمة الصوت واتساقه وانسجامه مع المعاني التي تهدف إليها السورة.

بلاغة الأصوات:

ومن المعلوم أن الصوت هو المستوى الأول للغة، والصوت فرعٌ أصيلٌ في الدرس اللغوي قديمًا وحديثًا، فقد أفرد له أحبار اللسانيات **Linguistics** الدراسات المتعددة، وتطور مع تطور الحياة، حتى صار له توصيفه التدقيق ولا سيما بعد تشريح الجهاز النطقي في العصر الحديث، ومع تطور

الدارسات الصوتية ولدت الكثير من المباحث التي تتفرع من المستوى الصوتي، أو بالأحرى التي يمثلها الصوت في تقنين ظاهرتها، وتوجيه مبتغاها الدلالي، ومن تلك الأفرع بلاغة الأصوات التي تهدف إلى دراسة كيفية استخدام الأصوات في التركيب اللُّغوي؛ لإيصال المعاني وإبراز الجماليات الصوتية، وعليه تعدُّ الأصوات وبلاغتها من الدراسات اللُّغوية المهمة التي تساعد على فهم التراكيب بشكل أفضل عن طريق انسجام الألفاظ مع السياقات، حيث تعزز من قدرة المتكلم على التعبير بشكل مؤثر وفعال. (٧)

وتتمثل أهمية بلاغة الأصوات في عدة جوانب، منها:

جوانب خاصة باللغة العربية منها تعزيز فهم اللغة العربية: حيث تساعد دراسة بلاغة الأصوات المتكلم على فهم اللغة العربية بشكل أفضل، وتمكنه من استخدام الأصوات والحروف والكلمات بطريقة صحيحة وفعالة وتحسين مهارته اللغوية، كما تثري الخطاب العربي بالجماليات اللغوية والصوتية، وتعزز من الهوية اللغوية، وتساعد في فهم الشعر ومقاصده، ليس ذلك فحسب، بل خصَّص علم الأصوات جهدًا كبيرًا لمساعدة الصم على الكلام كي يستطيعوا إنتاج علامات وإشارات صوتية مفهومة (٨)

ولها جوانب دينية: إذ تتصل بعض العبادات في العقيدة الإسلامية باللغة العربية؛ لكونها وعاء القرآن الكريم، والصوت هو الوحدة اللغوية الأولى في القرآن الكريم؛ لذلك وجب فهم دلالات الصوت البلاغية، حيث تسهم في فهم الأساليب القرآنية وتفسير النصوص القرآنية بطريقة دقيقة، وعلى ذلك فإن دراسة الأصوات هي جزء مِن علم التجويد الذي يدرس مخارج الحروف (٩).

سورة الحِجر: سُميت بهذا الاسم؛ لأن آياتها تحدثت عن قوم ثمود، وهم أصحاب الحِجر، والحجر اسم المنطقة التي كان يسكن بها قوم ثمود وهي وادي بين المدينة والشام (١٠).

سبب نزول سورة (الحِجر): تضمنت سورة الحجر مضمونًا يواسي النبي –صلى الله عليه وسلم– إذ نزلت في فترة حرجة شهدت وفاة السيدة خديجة وعم النبي أبو طالب، وكذلك عام الهجرة الذي غادر فيه مكة المكرمة. جاءت السورة لتشجيعه على مواجهة هذه التحديات بفعالية وحركة، حيث توجه النبي –صلى الله عليه وسلم– والجماعة المسلمة معه من المهاجرين إلى المدينة المنورة (١١).

مقاصد سورة (الحِجر): لم تخرج سورة الحجر في سياقها ومضمونها عن السور المكية التي سبقتها، حيث تحتوي السور المكية على مبادئ أساسية للدين مثل التوحيد، والبعث، وإنذار المشركين، والعصاة، والظالمين، كما تتضمن دروسًا وعبرًا مستفادة من تاريخ الأقوام السابقة (١٢).

ففي قوله تعالى: ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ رَبِّ فالأمل البراق ما يزال يراود الإنسان، وهو يجري وراءه، وينشغل به، ويغتر فيه، حتى يجاوز المنطقة

المأمونة؛ وحتى يغفل عن الله وعن القدر، وعن الأجل؛ وحتى ينسى أن هنالك واجبًا، وأن هنالك محظورًا؛ بل حتى لينسى أن هنالك إلهًا، وأن هنالك موتًا، وأن هناك نشورًا، وفي تفسير القرطبي في هذه الآية يقول : يأكلون ويتمتعون، وهذا تهديد لهم. الأمل يلهيهم عن الطاعة، أي يشغلهم. يقال: "ألهاه عن كذا" أي شغله عنه، و"لهي" يعني مشغول عن الشيء. فسوف يدركون حقيقة أفعالهم عندما يرون القيامة ويذوقون عواقب ما صنعوا [13].

المبحث الأول

تحليل الأصوات الواردة في سورة (الحِجر).

من خلال دراسة تجليات الملامح الصوتية في سورة **(الحِجر)**، يتضح مدى التوافق والانسجام بين طبيعة الأصوات والمعاني، ولقد اهتم العلماء القدماء بتقسيم الحروف**(الأصوات)**، وتحديد مخارجها ووصف حالاتها الاهتزازية، كما فعل ابن جني الذي صنف الأصوات إلى جهر وهمس، وشديدة ورخوة، وصحيحة ومعتلة، ومطبقة ومنفتحة، وساكنة وغيرها[١٤]، ودلالات الأصوات وتجلياتها تجسدت في الجهر والهمس والتفخيم والمد واللين والتفشي، مما عكس البلاغة الصوتية في جانبين رئيسين: الأول هو الجانب الصوتي الدلالي الذي يوضح المعاني ويؤكدها، والثاني هو تطابق الكلام مع مقتضيات السياق [١٥]، وقد أَنزلَ الله سبحانه القرآن الكريم ليكون كتاب عقيدة شامل وديناً لكافة البشرية، متجاوزًا بذلك الموسيقى التقليدية المألوفة في البيئة العربية الجاهلية، ليحقق هدفه كمرشد ومعلم [١٦]، وتتحقق البلاغة الصوتية في القرآن من خلال تطابق الصوت مع مقتضى الحال، وسنستعرض ذلك في سورة **(الحِجر)** من خلال تحليل دلالات الأصوات المختلفة كما يلي:

أولًا/ أصوات (الجهر):

حركة الوتران الصوتيان هي المحددة لماهية الصوت جهرًا وهمسًا، فقد أشار إبراهيم أنيس إلى أن المجهور يلزم حركة واهتزاز الوترين الصوتيين، وعلى النقيض الصوت المهموس الذي لا يحتاج إلى حركة الوترين [١٧].

وقد برزت الأصوات المجهورة في سورة (الحِجر) على نحو يشكل ملمحًا دلاليًا، حيث إن السورة من السور المكية التي تُجادلُ المشركين في مسائل الوحدانية والنبوة والقرآن الكريم والبعث، وهذه مسائل وقضايا تستلزم الشدة في الطرح والقوة في الجدال، والوضوح في المعاني.

ويتضح ذلك من بداية السورة: في قوله تعالى:﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ﴾ [الحجر:١]، حيث التعريض بتلك الأحرف التي هي من جنس كلام العرب نفسه وبالرغم من ذلك

لم يستطيعوا أن يأتوا بآية من مثله، وقد أولت السورة هذا المقصد عناية خاصة؛ إذ تناولت قضية القرآن وإعجازه في مفتتح السورة، ومن الآيات التي حشدت الأصوات المجهورة حشدًا وذلك لما لجرسها من وقع أقوى، وتأثير أشد في الرد على المشركين في قوله تعالى: ﴿ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﮊ ﴾ [الحجر:٩] لذا برزت الأصوات المهجورة بصورة واضحة، وخاصة حرف النون الذي استحوذ على السورة أجمع؛ حيث انتهت به رؤوس الآيات في سبعٍ وثمانين آية من تسعٍ وتسعين آية.

إن تكرار صوت (**النون**) المجهور في هذه الآية قد ورد تسع مرات حال فك إدغامه في (إنا) المتكررة مرتين، وليس تكرار النون بأقل أهمية من هذا الإدغام الذي قد زاد من التأكيد على معنى الآية وتقريرها، واشتملت الآية على حرفي (الزاي المشدد واللام في نزلنا) وحرفي (الذال والراء في الذكر) وحرف (اللام) في (له) والظاء واللام في (لحافظون) وتلك الحروف المجهورة مع تكرار النون ساعدت على تأكيد معنى الآية وترسيخه، مما يولد الشعور بذلك التجانس بين الأصوات مما يحقق لها جرسًا خاصًا، ذلك الجرس الذي هو خليط إيقاعي بين تنغيم الصوت الحيوي الرئيس والأصوات الفرعية الأخرى بأسلوب تطرب له الآذن [١٨] وقد توزعت الأصوات المجهورة على الآية كلها (إنا، نحن، نزلنا، الذكر، إنا، له، لحافظون) كل هذا في خط مستقيم يسير مع المعنى جنبًا إلى جنب، فالله هو منزل الذكر، وهو حافظه، ويشمل حفظه الحفظ من التلاشي، والحفظ من الزيادة والنقصان فيه، وسلمه من التغيير والتبديل حتى حفظته الأمة كلها في صدورها.

ومن مظاهر الجهر في قوله تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ﴾، [الحجر:٨] الآية التي جاءت للرد على الكافرين حينما طالبوا النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– أن يأتيهم بالملائكة كي يؤمنوا له، فجاءت الأصوات المجهورة في النون والظاء والقاف؛ كي توضح عظم وهول ما يطلبه أولئك الكافرين من النبي.

وفي موضع آخر يأتي حرف النون المجهور مرة أخرى بشكل بارز في قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [الحجر:٢٣] فقد شكَّل حرف النون المتكرر في الآية تسع مرات عنصر من عناصر القوة والتأثير في المعنى، أي معنى البعث والنشور الذي أنكره المشركون، وهذا المعنى في الأصل مقصد من مقاصد هذه السورة المكية، كان بمثابة استهلال لسرد قصة خلق الإنسان الكبرى، قصة نبي الله آدم عليه السلام في الآيات التي تليها، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ * وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر ٢٦، ٢٧، ٢٨] فتأتي براعة اختيار هذا الاستهلال بإيقاع قوي مفعم بالأصوات المجهورة؛ إذ يشد المستمع وينبهه إلى ما في السياق من معان ينبغي أن تنصت إليها الأذن الواعية، ومما يزيد من استرعاء الانتباه في الآية تكرار

الضـمير المنفصـل (نحن) وقد تضـمن حرف النون أربع مرات؛ لأنه المركز المعنوي الأهم، فما من محيي ولا مميت إلا الله، ولأن موضـوع البعث من أهم المسـائل التي عالجتها السـور المكية عامة وسورة (الحِجر) خاصـة، قال الله تعالى بين يدي الآية: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾، [الحجر:٢٤] ليبرز المقابلة الصوتية.

فنلحظ المقابلة بين نحيي ونميت، وبين ضـــمير المتكلم علمنا وضـــمير المخاطب منكم، وبين المسـتقدمين والمسـتأخرين، هذا مع الجهر الشـديد في حرفي اللام والدال مع بداية كل جملة من الجملتين في (لقد)، وفي تكرار قوله (ولقد علمنا) ما لا يخفى من الزيادة على التأكيد، وتتجلى المقابلـة على أتم وجـه في الآيـة التي تعقبهمـا: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُـــرُهُمْ إِنَّـهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾، [الحجر:٢٥] حيث جاء الله سبحانه وتعالى بضمير الفصل (هو) وأعقبه بالضمير المتصل (هم) في قوله (يحشرهم) لتظهر هذه المقابلة الصوتية التي تضفي على المقطع موسيقى متوترة تفصح عن ذلك الجدال الشديد بين الرسول –صلى الله عليه وسلم– والمشركين المنكرين لرسالته.

ثانيًا/ أصوات(الهمس):

وللصوت المهموس في سورة (الحِجر) إيحاءات دالة تُناسب السياق النصي للسورة، ففي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾، [الحِجر ١٦، ١٧] حيث يتضح ظل الضخامة في السياق، فالإشارة في السماء إلى البروج الضخمة، تبدو ضخامتها في جرس كلمة بروج، حيث حرف الباء حرف مجهور انفجاري شديد، ومن بين هذه الأجواء الضخمة تبرز صورة إبليس بما توحي به من ضعف وذل وهزال، ارتسمت من خلال الأصوات المهموسة لتلمس الروعة في توظيف حروف الهمس في الآية: ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾، [الحجر:١٨] حيث أحرف السين والتاء والقاف؛ لتوضيح صورة ذلك المتخف السارق الخائف المسرع، والذي لا يكاد يتحصل على شيء، ويشي لنا بذلك حرف السين وهو صوت صامت مهموس لثوي احتكاكي، ويشبهه في مخرجه حرف التاء، فهو مهموس أسناني، وبتتابع الصوتين يتحقق جرس يوحي بالخفاء.

ومما أفاد ملمح الهمس في السورة أيضًا، تصوير نفسية النبي لوط– عليه السلام– عندما هرع إليه قومه الخبيثين لما سمعوا بنبأ ضيفه قصدًا للفاحشة، في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾، [الحجر:٦٨]

فتكرار حرف (الفاء) المهموس في (ضيفي، تفضحون) بجرس الهمس والاحتكاكية والرخاوة ولعل الضـــعف الذي يحمله الفاء في جرســه يصـــور لنا حالة الضـــعف التي كان عليها لوط– عليه الســـلام– في تلك اللحظة؛ إذ خاطبهم بهذه الطريقة الخافتة، وكأنه يهمس في آذانهم خشـــية أن

يسمع ضيوفه الحوار الدائر بينه وبين قومه، ويبقى لظهور حرف الضاد (الانفجاري الشديد المجهور) المتكرر على مرتين على نحو منفصل دوره المهم الذي يصور حال الشدة التي وقع فيها لوط عليه السلام جراء قومه، ومما يلفت الانتباه أن يتوسط هذين الحرفين حرف الفاء متصلًا بتكراراته الثلاث، ثم يعقب الضاد حرف الحاء المهموس الاحتكاكي، فهذا التوزيع يدل على أن لوطًا عليه السلام كان بوده لو يستطيع أن يطردهم طردًا، فقد بدأ حديثه غاضبًا يعنفهم مستخدمًا الضاد ثم لزم الهدوء وأطال في التلطف معهم خوفًا من الفضيحة مستخدمًا الفاء ثلاثة مرات، ثم عاد ليعنف حينما لم ير منهم استجابة مستخدمًا الضاد مرة أخرى، ولكنه كان مضطرًا إلى التزام الهدوء فعاد إلى التلطف مرة أخرى مستخدمًا حرف الحاء المهموس، ومما يعين على إدراك ما دلت عليه الأصوات وأوحت ما قاله لوط عليه السلام لقومه مصورًا حالة الضعف تلك، في قوله تعالى في سورة هود: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾، [هود:٨٠].

ثالثًا/ أصوات (التفخيم):

ظهرت في سورة (الحِجر) بعض الدلالات لملمح التفخيم، وهو ما ينتج عن حركة مؤخرة اللسان إلى الطبق عند النطق بالصوت، حتى يظهر فيه من القوة والتمكُّن والتعظيم ما يخالف الصوت المرقق الذي يقابله.

النص القرآني يستخدم أصوات التفخيم ويكررها لتصوير بعض المواقف، مما يُضفي على النص طاقات نغمية وشحنات إيقاعية تعمل على خلق أجواء نفسية مؤثرة. هذه الأجواء تعزز من الدلالة المقصودة من بين الأصوات المفخمة التي تعبر بقوة عن الموقف، نجد صوت الصاد، وهو صوت ذو نبرة قوية بسبب استعلائه وطبقته، وقد يُنطق مهموسًا رغم قوته، مما يتطلب من القارئ تفخيمه عند النطق. (١٩)

الآيات القرآنية تشير إلى الوضع الذي وصل إليه أصحاب الحِجر بعد أن جحدوا رسولهم صالح، عليه السلام، فصاروا بذلك مكذبين للرسل جميعهم ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾، [الحجر:٨٠] وهنا تشير الآية إلى حالة المطابقة لكل الرسل، فتكذيب رسول واحد يعد تكذيبًا لجميع الرسل. (٢٠)

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾، [الحجر:٨٢]، حيث يوضح التفخيم مقدار قوة قوم صالح وهم ثمود أصحاب الحِجر الذين نحتوا بيوتهم في الجبال، فكانوا يتخذون من الجبال بيوتًا لأنفسهم بشدة قوتهم، ولكن التفخيم يظهر في موضع آخر؛ ليظهر عقابهم حيث كان الله لهم بالمرصاد، فأرسل عليهم عذاب الصيحة. في قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ

مُصْبِحِينَ﴾، [الحجر:٨٣] فتأتي حروف التفخيم متتابعة (الخاء، الذال، الصاد المشددة في الصيحة ومصبحين) لتسهم في تهويل وتفخيم العذاب الذي حل بهم.

وفي موضع آخر: ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾، [الحجر:٦٠] وعند نطق كلمة الغابرين يظهر ملمح التفخيم في حرف الغين وحرف الألف الذي جاوره، الأمر الذي يزيد من استرعاء الانتباه له، فلا يظن أن امرأة لوط- عليه السلام- نجت من العذاب، وكلمة الغابر معناها الباقي، ولكن لو استخدمت كلمة الباقين لظن القارئ أنها نجت من العذاب؛ لكن استخدام الغابرين بتفخيم حرف الغين هو الذي أبرز وقوعها مع الكافرين في العذاب.

وتظهر دلالة حرف الغين مع ألفه المفخمة في موضع آخر تحمل نفس الظِلال المؤذنة بالعذاب والعقاب، في قوله تعالى في الآيات: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾، [الحجر ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢] فكلمة (الغاوين) تصف هؤلاء الذين تنكبوا طريق الحق والهدى وضلوا عن الطريق المستقيم متناسقًا مع الإغواء الذي لحق بإبليس مما جعله يقطع على نفسه وعدًا في إغواء الخلق، ثم جاء الرد الرباني متضمنًا لحرف الغين المفخم، إذ استخدم التعبير القرآني الوصف نفسه، مما زاد بروز هذا المظهر الأسلوبي الصوتي.

من الأصوات المفخمة التي حققت ظاهرة صوتية في السورة حرف الراء، وهذا الحرف يتميز بخصائصه المزدوجة في النطق؛ إذ يُنطق مفخمًا ومرققًا حسب السياق، ويتوجب على القارئ تحديد خصائصه بدقة قبل النطق به.[٢١] غير أن التفخيم قد غلب عليه، فقد ورد حرف الراء (٩٢) مرة جاء في (٧٣) مرة مفخمًا و(١٩) مرة مرققًا، وكان أول ظهوره مفخمًا حيث ورد في الآية الأولى مفخمًا مرتين في قوله سبحانه وتعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾، [الحجر:١] ثم تكرر في الآية التي بعدها مفخمًا مرتين أيضا ففي قوله: ﴿ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الحجر:٢]

جاء مفخمًا في (ربما، كفروا) ثم جاء مرة في كل من الآية الثالثة (ذرهم) والرابعة (قرية): ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾، [الحجر٣، ٤] وتكراره في بداية السورة على هذا النحو المفخم يضفي على الجو العام للسورة ملامح الشدة والقوة؛ وهو ما يتناسب مع محور الصورة ومقصدها الذي دار حول العقاب الذي يقع على المكذبين الذين افتروا على الرسل وعصوهم، لذا بدأت السورة بالوعيد والتهديد من الله سبحانه وتعالى لهؤلاء المكذبين[٢٢]، ولاشك أن في تفخيم الراء ما يناسب هذا المحور ويخدمه

بخلاف ما لو كان مرققًا، وبذلك جاء التناسب جليًّا بين الأصوات والجو العام لمطلع السورة حيث تكررت الراء مفخمة ست مرات.

رابعًا/ (أصوات المد واللين):

تستوقف أصوات المد واللين الدارس أثناء تأمله لغة القرآن وتشكيلاته الصوتية وكيفية مساهمتها في إيصال المعنى للسامع وأثرها في المعنى؛ فظاهرة المد في سورة (الحِجر) لا تخلو من أن تحمل في طياتها أسرارًا معنوية وصورًا فنية.

فحرف الألف حرف مد، تمَّ استخدامه في الأحرف المقطعة في بداية السورة والتي اختلفت التفاسير فيها ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾، [الحجر:١] فدلالة المد المعنوية في هذا المقام هي إظهار الصوت في حالة الجهر، وكأن شخصًا ينادي الناس أن انتبهوا، وتعالوا انظروا في إعجاز هذا القرآن الكريم وبلاغته.

وفي موضع آخر: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾، [الحجر:٤] فقد تكرر صوت المد ست مرات (ما/ نا/ لا/ها/تا/ وم) فمد الصوت في (نا) للدلالة أنه لا قرية تخرج من الحكم، وكذلك الأمر في بقية مواضع المد في الآية حيث تحمل كل منها مضامين خاصة بها.

وفي قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾، [الحجر:٢٢] يأتي المد ملمحًا من الملامح الصوتية التي شكَّلت انصبابًا، زاد من إيحاءات الآية ودلالاتها، فقد بلغ عدد الصوائت الممدودة الطويلة في تلك الآية اثني عشر هي (نا، يا، وا، نا، ماء، ماء، نا، مو، ما، لهو، خا، ني) كان حظ الألف منها تسعة، وهذا ما يتناسب مع البروز الذي تتطلبه الآية لمعنى المن الرباني على الخلق؛ إذ أنعم عليهم بنعمة الماء، وقد رزقهم إياه دونما جهد، وفي كلمة (فأسقيناكموه) التي بلغت الحد الأعلى الذي تبلغه المقاطع الصوتية في اللغة العربية، "**وذلك أن اللغة العربية لا تتعدى السبعة مقاطع مهما اتصل بها من سوابق أو لواحق**"[٢٣] وفيه دلالة على أن في جلب الماء عسرًا إلا أن الله ييسره للخلق، ولحرفي المد (نا، مو) دلالتهما على المعنى، فالمد بالألف اقترن بضمير الفاعل "نا" ويحيل إلى الله سبحانه وتعالى وناسبه الألف ليدل على العلو والسمو والتقديس، وقابله المد بالواو ونلمس في نطقه بعد المد بالألف نزولًا يدل على الإنسان وضعفه، مضافًا إلى ذلك ما أداه المد بارتفاعه وهبوطه من تصوير المطر حال نزوله من السماء.

وللمد بما يحمله من زمن في نطقه دلالته المعنوية في قوله: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، [الحجر:٤٩] حيث تتكرر في المركز المعنوي للآية؛ فالمد الأول (الألف والياء) من (عبادي) يمثل دعوة الخلق كلهم إلى أن يتحققوا بصفة العبودية لله، والمد الثاني (الياء) من

(أني) يحمل دلالة التأكيد على أن الله هو الغفور الرحيم وفيهما دلالة على سعة مغفرة الله ورحمته، وبمجموع أصوات المد تأتي متسقة مع الدلالة الكلية للآية وهي أن مغفرة الله ورحمته، تشمل كل متصف بالعبودية الحقة له وحده سبحانه.

وتتعاقب أصوات اللين القصيرة (الحركات) في قوله: ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾، [الحجر:١٢] حيث ذكر بن عاشور عن معنى سلك القرآن الكريم في قلوب المجرمين: لأن المشركين تدبروا القرآن بعقولهم دون أن يصل إلى قلوبهم؛ وذلك لأنه من كلام العرب الذي يعرفونه من كلام العرب الذي يعرفونه [٢٤] وورد عن الزمخشري أن الخيط عندما يدخل في الإبرة ويتم نظمه، يُقال عنه "سلكه"، مما يعني أن الفعل يشير إلى الوصول. [٢٥] وهذا ما نلاحظه في أصوات اللين بتعاقبها عند وصف القرآن الكريم وكيف تغلغل في عقول المشركين؛ إذ يدركون معانيه وإعجازه، ومع ذلك يبتعدون عنه. وفي ابتعادهم هذا، تكمن حجة قوية ضدهم. [٢٦]

خامسا/ أصوات التفشي:

ومن الصفات الصوتية التي شكَّلت مظهرًا صوتيًّا في السورة، صفة التفشي، وهي صفة مختصة بصوت (حرف) واحد هو حرف الشين، ومعنى التفشي هو خروج الهواء مصاحبًا عند نطق حرف الشين بين الحنك واللسان[٢٧]، وقد برزت هذه الصفة في قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾، [الحجر٥٣، ٥٤، ٥٥] وتكرار صوت الشين ثماني مرات (عند فك التشديد) يحفز الفكر على التأمل بعمق ؛ فإذا برزت ظاهرة التكرار عند أديب معين في مؤلفاته؛ فإن هذا يدل على صدق تجربته الشعورية. [٢٨] إنما كلام الله ما وضع منه حرف أو كلمة، بل حركة إلا لبلاغة وإعجاز.

فالآيات تكشف عن حالة الخوف التي ألمت بنبي الله إبراهيم – عليه السلام– حين مجيء الملائكة إليه؛ فلم تذكر لنا رد إبراهيم – عليه السلام– السلام على الملائكة حين دخلوا عليه مسلمين ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾، [الحجر:٥٢]، ووجلون أي خائفون، فالوجل هو الخوف الشديد الذي يسيطر على النفس ويسبب ارتباكًا داخليًا نتيجة توقع حدوث أمر سيء. [٢٩]

ويصور السياق نفسية إبراهيم – عليه السلام– وقد اكتنفها الخوف والفزع، لكن القصد من مجيء الملائكة ليس إبراهيم – عليه السلام– فقد بينوا وجهتهم ومقصدهم وأنهم أرسلوا إلى قوم لوط وهم في سبيلهم هذا يحملون بشارة لإبراهيم– عليه السلام– لا الوجل، فيحضر حرف الشين بجرسه

الصـوتي؛ ليصـور لنا وقع تلك البشـارة على نفس إبراهيم – عليه السـلام– وبهجته بها؛ ليحقق توازنًا في الصـورة، فينتقل بها من ظلال الوجل والخوف إلى الفرح والاسـتبشـار، هذا الفرح الذي عم الجو وانتشر فيه كانتشار الهواء وتفشيه عند النطق بحرف الشين المتكرر ثماني مرات، مع التشديد الذي يزيد من صفة التفشي فيه، وهذه البشارة إنما هي بشارتان معًا، فالمولود ذكر وليس أنثى، ثم إنه سـيكبر ليصـبح نبيًا عليمًا، والغلام هو إسـحاق عليه السـلام، كما ذكر الله ذلك في سورة هود: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾، [هود:٧١].

المبحث الثاني

ظواهر الإيقاع الصوتي في سورة (الحِجر)

المطلب الأول: ظاهرة الجرس والوحدة الصوتية (الفواصل) في تركيب اللفظ القرآني في سورة (الحِجر)

لقد حظيت ظواهر الإيقاع الصوتي بشكل عام، وظواهر الجرس والوحدة الصوتية بشكل خاص في تراكيب الألفاظ القرآنية باهتمام كبير لدى العلماء القدماء، وقد انعكس هذا في مناهجهم حيث قاموا بتحليل الأصوات القرآنية التي تحمل دلالات معينة في جرسها، وقد سار المحدثون على نفس النهج، وجعلوا من أعمالهم أساسًا للدراسات الصوتية، حيث تناول الباحثون العديد من المسائل في الدراسات القرآنية وعلوم القراءات، مما أسفر عن إنتاج دراسات لا غنى عنها في البلاغة الصوتية في الأدب البلاغي الحديث.

وهذا له أهمية كبيرة، حيث استفاد علماء القراءات والتجويد من الدراسات والبحوث التي أجراها المحدثون، مما ساعد في تعلم وحفظ القرآن الكريم بفضل ما يحتويه من أسرار بلاغية صوتية. [٣٠]

فهناك صلة وثيقة بين القراءات وعلم الأصوات، حيث تتيح قراءة القرآن الكريم فهم ما يجوز وما لا يجوز نطقه، وتُميز النطق الصحيح عن الفاسد، فضلا عن ذلك، تُظهر القراءات صفات ومخارج الحروف بشكل سليم. [٣١].

وقد جاءت دلالة لفظ الإيقاع في المعاجم اللغوية لتشير إلى التجانس والانسجام بين الكلمات ضمن الجمل، مما يؤدي إلى إنتاج الموسيقى واللحن والغناء، فالإيقاع المصدر منه أوقع ويستخدم في إيقاع اللحن والغناء [٣٢] وهناك كتاب للخليل بن أحمد الفراهيدي في ذلك المعنى أسماه كتاب الإيقاع، كما تطرق ابن سينا إلى موضوع الإيقاع، وصفه بأنه تقدير لزمن النقرات، ووضع شرطًا في توصيفه للإيقاع بأن تكون هذه النقرات متناغمة لتكوين نغمة موسيقية. [٣٣]، من ثمَّ يتضح أن النغم أساس تشكل الإيقاع أو ما يسمى بالنقرة، وما يصدر عن آلة موسيقية في تسلسل زمني منسجم، وهذا ما أُطلق عليه لحنًا.

ومن الظواهر الصوتية للإيقاع ظاهرة الجرس والوحدة الصوتية، فالجرس يصطحب آيات القرآن الكريم في مختلف إيقاعاتها، وتتسم سورة (**الحِجر**) بشيوع الايقاع الجرسي في آياتها ففي قوله تعالى: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾، [الحجر:٣٤] أحدث تتابع الجرس المكون من حرفي الراء والجيم، في (اخرج) و(رجيم) أثرًا سمعيًّا يدل على الطرد، والنبذ، والهول، والتعظيم.

وفي قوله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾، [الحجر:٤٧]

هناك ترابط إيقاعي قوي بين كلمتي (نزعنا) و(غل) وهما مركزا الآية المعنوي، لأن الغل إذا نُزع من صدورهم صاروا إخوانًا، فيعطي ذلك انطباعًا بتطهير القلوب وبلوغ الأمر مداه من حيث السلامة النفسية للمؤمنين.

ويلتمس قوة الإيقاع الجرسي في دلالته على المعنى دلالة بينة في قوله تعالى آمرًا رسوله بتبليغ الدعوة: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾، [الحجر:٩٤] حيث بدأت الآية بفعل أمر حروفه تدل بجرسها على معاني القوة والشدة (فالصاد مفخمة، والدال مجهورة انفجارية شديدة، والعين مجهورة وحال سكونها تزداد جهرًا ووضوحًا في السمع) حيث تتلاءم وتتكامل معاني القوة والشدة مع المعنى المراد إيصاله وهو حسب التفاسير تفرقة النبي –صلى الله عليه وسلم– بين الحق والباطل بما أمره ربه بتبليغه، وفي تفسير آخر (فاصدع بما تؤمر) أي شق جماعة الكفار بالتوحيد.

ومن الظواهر الإيقاعية في القرآن الكريم (الفاصلة):

مفهوم الفاصلة لغة: الفاصلة مأخوذة من الفصل يعني التمييز بين شيئين، وفي سياق الجسم، يشير إلى موضع المفصل بين عظمتين. وكذلك يستخدم للدلالة على الحاجز بين الأشياء، والفصل يعبر أيضاً عن القرار أو الحكم في الأمور، بتمييز الحق من الباطل. عندما نقول 'فصلت الشيء فانفصل'، يعني أن شيئاً ما قد قطع فانقطع، والفاصلة مثل خرزة في سلسلة، تفصل بين خرزتين، وتعطي تنظيماً وترتيباً. (٣٤)

الفاصلة اصطلاحا: لقد ذكر العلماء العديد من التعريفات الوصفية لهذا المصطلح، ومن بينهم السيوطي الذي قام في كتابه "الإتقان" بالتمييز بين هذا المصطلح والسجع (٣٥)، ووصفها الرماني بأنها حروف متشابهة، مشيراً إلى أن حجة وجودها تكمن في تحسين إيصال المعنى. (٣٦) وعاملها أبو عمرو الداني معاملة القافية في البيت الشعري الموزون، حيث وصفها بأنها الكلمة الأخيرة في الآية، ويتفق معه في هذا التوصيف الزركشي (٣٧).

فالفاصلة وانطلاقًا مما سبق من التعاريف، تصب في معنى واحد، هو ارتباطها بآخر الكلام، كالقافية في الشعر، فهي ذلك الوزن الموجود في آخر الكلام المتمثل في المقاطع الصوتية.

الفاصلة في القرآن الكريم:

تعد الفاصلة ظاهرة قرآنية، يقول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، [الأعراف:٥٢] قاصدًا بذلك بيناه ووضحناه، أي أن هناك بين كل آيتين فصل.

ويظهر حرص التعبير القرآني في سورة (الحِجر) على مراعاة الفواصل؛ حيث عمد إلى أن تظل رؤوس الآيات متفقة في المقطع الأخير منها، وأن يكون حرف الروي هو النون أو الميم أو اللام، مسبوقًا بحرفي المد الياء أو الواو.

أنواع الفواصل في سورة (الحِجر):

الفواصل المتماثلة بالحروف: كقوله تعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾، [الحجر:٢] ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾، [الحجر:٣] فالفاصلة في الكلمات (مسلمين) و (يعلمون) تشترك في حرف روايتها النون وهو صوت رنان قوي يحمل دلالات التهديد للكفار مما يتناسب مع مقتضى المعنى.

الفواصل المتقابلة بالحروف: كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾، [الحجر:٤] ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ [الحجر:٥] للتقارب بين الميم والنون في الفواصل (معلوم، يستأخرون) وحرفي النون والميم يمثلان تشكيلة صوتية يوحي نطقها بانتهاء وانقضاء الأمر، ولذلك تشترك مع المعنى وراء الآيتين، حيث نلاحظ أن حروف الحنجرة والحلق أقل استعمالًا من الحروف الشفوية و الأنانية، ولهذا كله مرتبط بسهولة ويسر النطق والوضوح السمعي أيضًا، والمقصود بالوضوح السمعي وصول صوت الحرف واضحًا إلى السمع، حيث إن لكل مجموعة حروف متقاربة المخارج تسهم في الوضوح السمعي.

المتوازي: وهو اتفاق الكلمتين في الوزن والحرف، كما جاء في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾، [الحجر:١٢] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾، [الحجر:١٣] حيث اتفقت كلمتا (المجرمين، الأولين) في الفواصل وفي الوزن والقافية، والحرف يعطي جرسًا موسيقيًا لافتًا للانتباه، أما من ناحية المعنى، فقد جاء متوازٍ، فكما سلكنا الكفر في قلوب شيع الأوّلين

بالاستهزاء بالرّسل، كذلك نفعل ذلك في قلوب مشركي قومـــــك الّذين أجرموا بكفرهم بالله والذين يرفضون تصديق الذكر الذي أُنزل إليك.

ومن أبرز الظواهر التي تؤكد ذلك الحرص في اتفاق المقطع الأخير للفواصـــل ما يحدث في أسـلوب الاسـتثناء، حيث يكون الفصـل في تركيب الجملة الاسـتثنائية، المسـتثنى منه في آية، والمستثنى في الأخرى، حفاظًا على موسيقى المقطع الأخير (ين، ون، يم، يل، وم).

وفي قوله تعالى: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾، [الحجر ١٧، ١٨] فالفاصلة الأولى (رجيم) مختومة بـــ(يم) مع أن المستثنى وهو الاسم الموصول (من) في الآية التالية.

وقوله: ﴿فَسَـجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّـاجِدِينَ﴾، [الحجر ٣٠، ٣١] وتظل الفواصـل محتفظة بموسـيقاها المتناسـقة فأخرت المسـتثنى (إبليس) ولم تجعله رأسًـا للآية، بل ختمتها بـ(أجمعون) ففيها الواو والنون.

وفي قوله: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِـينَ﴾، [الحجر ٣٩، ٤٠] و(أجمعين) يتحقق فيها الاتسـاق الموسـيقي للفواصـل، فتأخر المستثنى (عبادك) للآية التالية.

وظاهرة التقديم والتأخير وتخللها في السـياق القرآني تظهر بشـكل واضـح في الفواصـل القرآنية، حيث لها بلاغتها الخاصـــة وجمالها وإيقاعها المؤثر، وهو في كلامنا نظام فني معقد يحتاج إلى معرفة عالية بفن القول، حيث إنها ترتبط بالمستويات العليا للغة.

ويظهر تأخير المستثنى جليًّا في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾، ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾، [الحجر ٨٥، ٥٩، ٦٠] وفي هذه الآيات يظهر كيف أن التعبير القرآني يعمد لإبقاء القاعدة الصوتية للفواصل مضطردة، فيجعل المستثنى في الآية التالية، ما دامت لا تتفق مع موسيقى الفواصل، وقد يأتي الاستثناء متصلًا في آية واحدة إذا لم يختل البناء العام للفاصلة، كما في قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾، [الحجر:٤٢] ومن مواطن مراعاة الفاصلة في سورة (الحِجر) استخدام التعبير القرآني من أسماء يوم القيامة ما يبقي على القاعدة العامة للفواصل، مع ما في ذلك من تفنن في القول، كما في قوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾، [الحجر:٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨]

أما الاسم الأول (الدين) فقد جاء مختومًا بما يتوافق مع الفواصل، وفي الاسم الثاني وهو (البعث) فقد اشـــتق التعبير القرآني منه الفعل المضـــارع مرفوعًا على وزن الأفعال الخمســـة (يبعثون)، وفي المرة الثالثة جاء وصف يوم القيامة بما يبقِ على سلامة الوزن (الوقت المعلوم)، كل هذا التوافق والتناغم في الإيقاع، الذي يخلق شـــعورًا بالطرب واللحن والترنم، يُســـهم في منح الأداء بُعدًا وظيفيًا واضحًا يُعزز التأثير ويساعد في تحقيق الأهداف والغايات المنشودة. (٣٨)

ومن نماذج التقديم والتأخير في مراعاة الفواصـــل ما ورد في قوله: ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾، [الحجر:٦٠] حيث قدم المفعول وأخر الفعل، بخلاف الأصـــل في ترتيب الجملة (وجاء المرسلون آل لوط) لضمان عدم حدوث ارتباك في الهيكل الموسيقي الذي تقوم عليه السورة في فواصلها، لأن أهمية الفاصلة القرآنية تنبع من دلالتها على المقطع. (٣٩)

المطلب الثاني: ظاهرة المقاطع الصوتية في سورة (الحِجر):

يعد الفارابي أول عالم قد تطرق إلى هذا التوصيف، حيث وصف المقطع بالحرف الصامت الذي يُحاط بحرف مُنطوق (٤٠)، وعند بسام بركة يُمثل نوعًا بسيطًا من الأصوات التركيبية في التسلسل الكلامي، بمعنى أن المقطع أكبر من (الصوت اللغوي) ويأتي مباشرة بعده من حيث الزمان والمكان في النطق والكتابة بالترتيب (٤١)، وبالرغم أن الترميز الذي نعمل به في الدرس الصوتي العربي هو من إبداعية إبراهيم أنيس –على حد علم الباحثة–إلا أنه لم يضع تعريفًا للمقطع.

وعند الوقوف على أقسام المقاطع الصوتية في العربية يلحظ أنها تنقسم إلى مقاطع قصيرة وطويلة، فالمقطع القصير يتكون من صامت ومتحرك (ص، ح) ويكون مفتوح دائمًا، ومقطع طويل يتكون من صامت ومتحرك ثم زيادة متحرك (ص ح ح) فيكون طويلًا مفتوحًا، وإذا كانت الزيادة صامت (ص ح ص) يصبح طويلًا مقفلًا، وهذه الأنواع الثلاثة هي ما تُكون أغلب الكلمات في العربية ويضاف إليهم مقطعين: المقفل المديد (ص ح ح ص) و (ص ح ص ص) وهو مقطع مديد مقفل بصامتين (٤٢)

ويظهر الاتزان الإيقاعي للمقطع الصـوتي في قوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، [الحجر:٤٩] فإن الآية كلُّها تأتي متزنة رزينة على وزن بحر المجتث إلا أن القرآن الكريم في طبيعة تجويده الخاصـــة وترتيله ما يجعل له إيقاعًا مميزًا فريدًا، حيث إن الإيقاع في القرآن الكريم متوازن بدقة، أما في الشعر فهو إيقاع مصطنع موزون؛ لأنه من صنع البشر (٤٣).

ويلاحظ أن التعبير القرآني في سورة (الحِجر) يوظف المقاطع الصوتية توظيفًا فنيًّا يوضح ما تصوره من البعد النفسي، ودرجة تأثيرها في المتلقي.

ففي قوله تعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ * ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾، [الحجر ٢، ٣]

(ص ح/ص ح/ ص ح ح/ ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ ص ح ح/ص ح/ ص ح/ ص ح ح/ ص ح ص/ ص ح ح / ص ح ح/ ص ح ص/ص ح /ص ح ح ص//)

ويلحظ في كل من الآيتين السابقتين غلبت المقاطع المفتوحة وخاصة المقاطع القصيرة، وهذا يحيل إلى أننا أمام بنية واحدة متلاحمة متماسكة على المستوى الصوتي والذي يدل على ذلك الجانب المعنوي في الآيتين الكريمتين، إذ جاءت الآية الأولى واصفة للحال التي سيؤول إليها الكافرون من التحسر والندم الشديد على ما فرطوا في جنب الله؛ إذ لم يكونوا مسلمين، فتتابعت فيها المقاطع القصيرة المفتوحة بشكل واضح في مركز الآية المعنوي، وجاءت الآية الثانية مبينة أن سبب كفرهم إنما هو الأمل في هذه الدنيا والركون إليها، فتتابع المقطع القصير المفتوح على هذه الشاكلة جاء بوصفه عنصرَ ربطٍ وتكامل بين الآيتين، وقد جاء تفسير البيضاوي لقول الله تعالى (ويلههم الأمل) أي ويشغلهم توقعهم لطول الأعمار واستقامة الأحوال ويُلهيهم عن الاستعداد للميعاد (فسوف يعلمون) إذا رأوا القيامة وذاقوا سوء صنيعهم إذا عاينوا جزاءه، وظهر ذلك عبر التهديد الذي يتجسد في المقاطع الصوتية.(٤٤)

وفي موضع آخر في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾، [الحجر:٣٢]

(ص ح ح / ص ح/ ص ح ح/ ص ح ص/ ص ح ح/ ص ح/ ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ ص ح ح/ ص ح ص//)

بلغ عدد المقاطع المفتوحة الطويلة سبعة والقصيرة ثمانية، ثم ظهرت المقاطع المغلقة القصيرة وعددها ثلاثة فقط في المراكز المعنوية للجملة، أولها (يا إبليس) وهو المخاطب، وثانيها (ألا تكون) وتركز المقطع المقفل (ص ح ص) على أداة النفي؛ لأنها المحور الأساس في الحوار وعليها مدار الكلام، فلولا رفض إبليس السجود، لما كان ما كان، فكان في مجيئها مقفلة بين المقاطع المفتوحة ما يسترعِ الانتباه، وثالثها (الساجدين) وهو الفعل الذي عصى إبليس به ربه.

وجاءت المقاطع الثلاثة بهذه الشاكلة أي مرتبة وموزعة في أول الجملة وأوسطها وآخرها، هذا الترتيب الخاص له دلالة نفسية مرتبطة بالسياق، حيث تلقي من خلال هذه المقاطع الموزعة ظلالًا من الغضب على المشهد، ولتكون بداية تصعيد صوتي، ويلحظ أن توزيع المقاطع الطويلة المفتوحة أبقى الإيقاع متأنيًا وأفضى بموسيقاه رعب، وفزع وترقب وانتظار.

ومن جانب آخر، تصور لنا المقاطع الجانب النفسي لإبليس حين أجاب: ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾، [الحجر:٣٣]

(ص ح ح/ ص ح/ ص ح ص/ ص ح/ ص ح ص/ ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ ص ح/ ص ح ص/ص ح/ ص ح ح/ ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح ص//) ويلحظ هنا أن الآية الكريمة تكونت من سبعة وعشرين مقطعًا لم يكن من نصيب الطويل منها إلا أربعة مقاطع، وباقي المقاطع كانت قصيرة ما بين المغلق والمفتوح، ولعل في سيطرت واستحواذ المقاطع القصيرة ما يدل على حالة الارتباك والوسواس والقلق؛ فدلالة المقاطع الطويلة تحيل إلى الاطمئنان والسكينة وهذا ما لا يتناسب مع سياق الآية وما تشير إليه من دلالة نفسية، لذا غلبت المقاطع القصيرة بنوعيها على الآية الكريمة.

ويظهر التشكل المقطعي الذي يبرز الحالة النفسية، فعلى لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾، [الحجر:٥٤]

(ص ح ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ ص ح/ص ح/ص ح ص/ ص ح/ص ح/ص ح/ص ح/ ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص)

وبهذا التشكل المقطعي يلحظ أنها تكونت من خمسة وعشرين مقطعًا، شكَّلت المقاطع القصيرة المفتوحة الجزء الأكبر منها حيث وصلت إلى أربعة عشر مقطعًا، وكان في ظهورها المتتابع أن شكَّل بروزًا صوتيًّا يمثِّل نفسية إبراهيم عليه السلام حين تلقيه البشارة، فتساءل متعجبًا من كمال قدرة الله، بما أنعم الله عليه من نعمة الولد، حتى بدا من شدة فرحته استعجاله بالسؤال عن سر هذه البشري وكأنه منكر لها، وما هو بمنكر، ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾، [الحجر:٥٦] وتمثَّل ذلك في السرعة الإيقاعية للمقاطع القصيرة المفتوحة المستمرة وبما يحمله الاستفهام التعجبي من دلالة نابعة من صدمة سيدنا إبراهيم عليه السلام بالبشرى.

ويتضح مما سبق ذكره أن الوحدة المقطعية في السياق القرآني تخضع لأسلوب محكم ومنظم؛ لأنها ترِد وفقًا لمقتضيات السياق ومتطلبات المقام؛ فإن لكلِّ تركيب دلالات يحملها، وسياقات تحمل في جوفها مشاعر وأحاسيس، ولكلِّ ذلك أثر على طبيعة تشكل المقاطع التي تبرز من الايحاءات والمجازات والدلالات ما لا يبرزه الصوت المفرد؛ لذا ينبغي تقسيم نسيج آيات سورة (الحِجر) إلى مقاطع صوتية، لنلحظ السمة الدلالية في المقاطع التي تتكرر، ثم العمل على تفسير ذلك بما يتناسب والسياق العام للآيات، حيث إن دراسة المقاطع الصوتية يعدُّ في حد ذاته من المباحث التي تغذي جوانب الدرس اللساني الحديث، إذ تسهم بشكل كبير في تفسير الظواهر اللغوية وفهم التراكيب الصوتية والصرفية والنحوية.[٤٥]

إن التعبير القرآني جاء في سورة الحِجر واستخدم المقاطع الصوتية ووظفها توظيفًا فنيًّا بديعيًا، وبعملية إحصائية للمقاطع وتنوعها نلحظ أنها جاءت على صورة (مفتوحة تنتهي بمتحرك، مغلقة تنتهي بصامت)، (طويلة ص ح ح أو ص ح ص، قصيرة ص ح) وهي على هذه الشاكلة تكشف لنا عن فنية هذه المقاطع الصوتية لما لها من تأثير موسيقي بديع، كما أنها توضح علاقة الشكل المقطعي بالدلالات المتنوعة والسياق، وما تصوره من أبعاد نفسية لدى المتكلم والمخاطب، ولما كانت الكلمات تتكون من مقاطع متعاقبة، وكان لكلِّ مقطعٍ ملامحه الصوتية الفريدة التي تميزه عن غيره، وكان تنظيم هذه المقاطع في الكلمات وتواليها على نظام معين ذا أثر كبير في إحداث أنواع من الموسيقى الداخلية تتناسب مع الأفكار التي تعبِّر عنها وتصورها، فالمقاطع المغلقة (ص ح ص) تأخذ في نطقها زمنًا أقل من الذي تأخذه المقاطع المفتوحة (ص ح ح)، ومن هنا كان استعمال المقاطع المقفلة (ص ح ص) واستخدامها لونًا من ألوان التعبير وتقوم بوظيفة لا تؤديها المقاطع المفتوحة (ص ح ح) والعكس صحيح.[٤٦]

الخاتمة والنتائج

خلصت الدراسة إلى عدة نتائج منها:

سورة **(الحِجر)** من السور التي تتجلى فيها القيمة البلاغية للصوت، حيث يظهر فيها مدى ملائمة الصوت واتساقه وانسجامه مع المعاني التي تهدف إليها السورة.

برزت **(الأصوات المجهورة)** في سورة (الحِجر) على نحو يشكل ملمحًا دلاليًا؛ لأنها من السور المكية التي تُجادل المشركين في مسائل الوحدانية والنبوة والقرآن الكريم والبعث، وهذه مسائل وقضايا تستلزم الشدة في الطرح والقوة في الجدال، والوضوح في المعاني.

أما عن مظاهر **(الأصوات المهموسة)** في سورة (الحِجر) فقد تعددت وتشاكلت وظهرت خاصة في القصص القرآني، ففي قصة لوط- عليه السلام- ووصف حاله عندما جاءه ضيوف من الملائكة وقدم عليه قومه، وما مر به نبي الله لوط- عليه السلام- من حالة شعورية أوجبت استخدام الصوت المهموس للتعبير عنها، كما تجلت الأصوات المهموسة أيضًا في وصف حال الشيطان وما يعتريه من ضعفٍ؛ لتوضيح صورته بوصفه شخصًا خائفًا متسرعًا لا يكاد يتحصل على شيء.

وجاءت دلالات **(التفخيم)** مناسبة وملازمة لمقتضى الحال، فالسورة ترد على المشركين، ويجب أن يظهر فيها من القوة والتمكُّن والتعظيم، وهذا على نظير ما يدلل عليه الصوت المرقق.

وحملت **(أصوات المد واللين)** في طياتها أسرارًا معرفيةً وصورًا فنيةً كثيرةً في سورة (الحجر)، حملت كُلًا منها مضامين خاصة بها حسب موضعها في الآيات. وظهرت صفة **(التفشي)** المختصة بحرف الشين في معرض حديث الملائكة مع إبراهيم عليه السلام، وبشراهم له بأن الله رازقه بولدٍ، فقلبت حالته من الوجل والخوف منهم إلى السرور والبشرى بهم.

ومما وقفت عليه الدراسة ملاحظة مراعاة النص القرآني في سورة (الحجر) لموضع **الفاصلة القرآنية**، حيث عَمِدَ النص القرآني إلى أن تظل رؤوس الآيات متفقة في المقطع الأخير منها، مؤخرًا ما يستوجب تخيره من الاستثناء، ومتخيرًا ما يلزم اختياره من أسماء يوم القيامة كي يتناسب مع الفاصلة في بقية الآيات.

وتنوعت **المقاطع الصوتية** في سورة (الحجر)، ما بين المقاطع المفتوحة والمغلقة، الطويلة والقصيرة، حيث جاءت المقاطع القصيرة والمغلقة في المواضع التي تدل على الغضب أو الحيرة، وجاءت المقاطع المفتوحة والطويلة في المواضع التي تتناسب مع معاني الارتياح والتراخي والسرور.

المصادر والمراجع

١. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ٢٠٠٠م.
٢. موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، ١٩٥٢م.
٣. إبراهيم خليل: الضفيرة واللهب: دراسات في الشعر العربي القديم والمعاصر، أمانة عمان الكبرى، ٢٠٠٠م.
٤. ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق أحمد فريد أحمد، المكتبة التوفيقية.
٥. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، ط٢، تحقيق عبد الله علي الكبير.
٦. أبو الحسن الرماني، النكت في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف، ط٤، د.ت.
٧. أبو الحسن بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، د. ط، ١٩٧٩م.
٨. أبو الحسن علي النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، ١٩٩٢م.
٩. أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٥٢م.
١٠. أبو الفضل الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.
١١. أبو القاسم الزمخشري ت (٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ.
١٢. أبو جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط١، تحقيق: صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ١٩٩٧م.
١٣. أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، ط٢، القاهرة ١٩٦٤م.

١٤. أبو محمد القيسي ت (٤٣٧هـ) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ط١، تحقيق حسن عباس قطب، مكتبة قرطبة. د.ت.
١٥. أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، الطبعة السادسة، ١٩٨٨م
١٦. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، مصر، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٧م.
١٧. بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، د. ط، د.ت.
١٨. برتيل ما لبرج، علم الأصوات، تعريب ودراسة: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، ط١، ١٩٩٥م.
١٩. بسام بركة، علم الأصوات العام، مركز الإنماء القومي، بيروت ١٩٨٠.
٢٠. جابر عصفور، مفهوم الشعر، مطبوعات فرح، قبرص، ط٤، ١٩٩٠م.
٢١. جويو جان ماري، مسائل فلسفة الفن المعاصر، ترجمة: سامي الدروبي: دار الفكر العربي، ١٩٤٨م.
٢٢. جويو جان ماري، مسائل فلسفة الفن المعاصر، دار الفكر العربي، ترجمة: سامي الدروبي، القاهرة ١٩٨٤م.
٢٣. رمضان محيي الدين، وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن، دار الفرقان، ١٩٨٢م.
٢٤. شهاب الدين القسطلاني، لطائف الإشارات للفنون والقراءات، تحقيق: عامر السيد عثمان وعبد الصبور شاهين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، القاهرة ١٩٧٢م.
٢٥. عبد الحميد هنداوي، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٤م
٢٦. عبد القادر عبد الجليل، هندسة المقاطع الصوتية، ط١، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان ١٩٨٨م.
٢٧. فوزي عطية، المقاييس اللغوية عند الجاحظ في البيان والتبيين للجاحظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، القاهرة٢٠٠٥.
٢٨. كاصد ياسر حسين، الجرس والإيقاع في تعبير القرآن، دار تحقيقات العلوم الإسلامي، مجلة آداب الرافدين، العدد٩، ١٩٨٧.
٢٩. كمال بشر، علم الأصوات، مصر، القاهرة، دار الغريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م.
٣٠. محمد إبراهيم شادي، البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، الشركة الإسلامية للإنتاج والتوزيع (الرسالة)، ط١، ١٩٨٨م
٣١. محمد الأمين الخضري، من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، مكتبة وهبة، ١٩٨٩م.
٣٢. محمد بن عاشور ت (١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس١٩٨١م.
٣٣. محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، دار المعرفة، ج٣، بيروت.
٣٤. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ط١، دار الصابوني للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٧م.
٣٥. محمود أحمد نحلة، دراسات قرآنية في جزء عم، دار النهضة العربية، ١٩٨١م.

٣٦. محمود أحمد نخلة، دراسات قرآنية في جزء عم، مصر، القاهرة، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، ١٩٨٩م.
٣٧. محمود السعران، علم اللغة العام، مقدمة للقارئ العربي، لبنان، بيروت، دار النهضة العربية، د.ت.
٣٨. منصور محمد الغامي، التقنيات الصوتية في خدمة القرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، د. ط، د، ت.
٣٩. ناصر الدين البيضاوي ت (٦٩١هـ) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٩٨م.

الهوامش:

(١)- يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ص و ت): ٢٥٢١/٤

(٢)- ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ٥٦/١

(٣)- ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب: ١٩/١

(٤)- ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: ٥

(٥)- يُنظَر: رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللُّغوي، ص: ١٣.

(٦)- ينظر: عبد الحميد هنداوي، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ص١٣.

(٧)- ينظر: محمد إبراهيم شادي، البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، الشركة الإسلامية للإنتاج والتوزيع (الرسالة)، ط١، ١٩٨٨م: ١١.

(٨)- يُنظر: أحمد مختار عمر، دِراسة الصوت اللُّغوي:٤٠٧.

(٩)- يُنظر: كمال بشر، علم الأصوات:٥٧٩.

(١٠)- محمد بن عاشور، التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر: ٥/١٤.

(١١)- ينظر: أبو الحسن علي النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، ١٩٩٢م: ٢٧٥ وما بعدها..

(١٢)- ينظر: المصدر نفسه.

(13)- ينظر: أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: احمد البردوني، دار الكتب المصرية، ط٢، القاهرة ١٩٦٤م :٢/١٠.

(١٤)- ينظر: ابن جني، الخصائص، مواضع متعددة في الكتاب، حيث كان هذا التوصيف من الحجج التي استخدمها ابن في الظواهر الصوتية في اللغة العربية كالإبدال، والإدغام والحذف..... إلخ، وكذلك كتابه سر صناعة الإعراب.

(١٥) – ينظر: محمد إبراهيم شادي: ٢١.

(١٦) – ينظر: كاصد ياسر حسين الزيدي، الجرس والإيقاع في تعبير القرآن، دار تحقيقات العلوم الإسلامي: ٣٣٣.

(١٧)- ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: ٢١.

(١٨)- يُنظر: جويو جان ماري، مسائل فلسفة الفن المعاصر، ترجمة: سامي الدروبي: دار الفكر العربي، ١٩٤٨م: ١٤٧.

(١٩)- ينظر: أبو محمد القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: ٢١٥.

(٢٠)- ينظر: محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير: ٣/ ١٢٥.

(٢١)- ينظر: أبو محمد القيسي: ١٩٥.

(٢٢)- ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير: ١٠٤.

(٢٣)- إبراهيم أنيس: ١١٢.

(٢٤)- ينظر: محمد بن عاشور: ٢٤/١٤

(٢٥)- ينظر: أبو القاسم الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٥٣٦/٢

(٢٦)- ينظر: محمد بن عاشور: ٢٤-٢٥

(٢٧)- ينظر: أبو محمد القيسي: ١٣٤

(٢٨)- ينظر: محمود أحمد نحلة، دراسات قرآنية في جزء عم: ٩٨

(٢٩)- ينظر: أبو الفضل الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: ٦٠

(٣٠)-ينظر: منصور محمد الغامي، التقنيات الصوتية في خدمة القرآن الكريم: ٢٢

(٣١)-ينظر: شهاب الدين القسطلاني، لطائف الإشارات للفنون والقراءات، تحقيق: عامر السيد عثمان وعبد الصبور شاهين: ٨٢

(٣٢)-ينظر: ابن منظور، مادة (و ق ع):٢٦٣/١٥)

(٣٣)-ينظر: جابر عصفور، مفهوم الشعر: ٢٤٧

(٣٤)- ينظر: ابن منظور، مادة (ف ص ل): ١١/٥.

(٣٥)- ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: ٢ / ٩٧.

(٣٦)-ينظر: أبو الحسن الرماني، النكت في إعجاز القرآن: ٩٧

(٣٧)- ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١ / ٥٣.

(٣٨)- ينظر: عبد القادر عبد الجليل، هندسة المقاطع الصوتية: ٣٥٧

(٣٩)- ينظر: رمضان محيي الدين، وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن: ٥٠

(٤٠)- ينظر: الفارابي، الموسيقى الكبير، تحقيق: غطاس عبد الملك خشبة/ دار الكاتب العربي للطباعة والنشر: ١٠٨٥.

(٤١)- ينظر: بسام بركة، علم الأصوات العام: ٩٧

(٤٢) -ينظر: برتيل مالبرج، علم الأصوات، تعريب ودراسة: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، ط١، ١٩٩٥ :١٦٦.

(٤٣)- ينظر: إبراهيم أنيس: ٢٧٠

(٤٤)- ينظر: ناصر الدين البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٠٦/١

(٤٥)- ينظر: عبد القادر عبد الجليل: ٤٩-٥٠

(٤٦)- ينظر: محمود أحمد نخلة: ١٠٩